الدلالات الرمزية لشخصية جميلة بوحيرد في الشعر العربي الحديث

The symbolic connotations of the personality of Djamila Bouhired in the modern arabic poetry

وردة مجول *

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية،

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، (الجزائر)

medjouel-ouarda@univ-eloued.dz

د/ عقيلة قرورو

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية،

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، (الجزائر)

grourou-akila@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2023/08/24 تاريخ القبول 2023/10/20 تاريخ النشر 2023/12/31

ملخص:

تعد الثورة الجزائرية حافزا نضاليا لكل الشعوب العربية، ودرسا عظيما لمواجهة العدو الغاصب وكيفية استرجاع السيادة عبر كامل التراب الوطني بقوة السلاح، عاملين بمبدأ ما يأخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، فكانت بذلك مصدر إلهام للشعراء العرب لأنها عبرت بصدق عن الروح القومية، وعن توق العرب للحرية والانعتاق من أغلال المستعمر كمطلب انساني.

* المؤلف المراسل

فجاءت نصوصهم الشعرية مجسدة لتلك الثورة الكبرى وتجلياتها البطولية، عبر قصائد خالدة ودواوين شعرية كاملة تشيد بها وبمجدها في نفوس الشعوب العربية عامتا والشعراء خاصة، لشعب لم يأبى الخضوع. لتتحول تلك البطولات بفضل بسالة رجالاتها إلى رموز ثورية تشكلت عبر اللغة بدلالات رمزية متنوعة، تعكس مقاومة المستعمر الفرنسي والتضحية، من اجل الحرية، وتعد جميلة بوحيرد واحدة من رموز الثورة الجزائرية التي رفضت الخضوع وحاربت من أجل استرجاع حرية وكرامة الوطن

الكلمات المفتاحية: الدلالات، الرمز، تجلي، جميلة، الشعر العربي، الحديث.

Abstract: The Algerian revolution is considered as a motivation for the struggle of all Arab peoples, and a great lesson to confront the usurping enemy and how to restore sovereignty in the entire national territory by force of arms, working on the principle of what is taken by force is not restored only by force. This revolution was a source of inspiration for Arab poets, because it sincerely expressed the national spirit, the Arab yearning for freedom and the desire for liberation from the shackles of the colonizer, as a humanitarian demand.

Their poetic texts embodied that great revolution and its heroic manifestations, through immortal poems and collection of poems, praising the revolution and its glory in the souls of the Arab peoples in general and poets in particular, for a people who did not accept submission, these heroisms turned into revolutionary symbols formed through the language with various symbolic connotations, reflecting the resistance of the French colonizer and the sacrifice for freedom, and Djamila Bouhired is one of the symbols of the Algerian revolution that refused to submit and fought for the restoration of the freedom and dignity of the country.

key words*:* semantics; symbol; clarity; Djamila; Arabic poetry; modern

مقدّمة:

عرفت الثورة الجزائرية بالحضور البالغ في ذهنية الإنسان العربي الذي واجه نفس مصيره من أجل تحقيق الحرية والاستقلال ويظهر ذلك بشكل خاص لدى الشعراء الذين ترجموا غضبهم في قوالب شعرية تعبيرا عن وقوفهم إلى جانب الجزائر في رحلة كفاحها ونصرتها

في أشعارهم؛ لأن الجزائر جزء من الأمة العربية...، وكان فخرهم بثورة نوفمبر واعتزازهم بها هو إيمان بعروبة الجزائر أولا وتقديسها للحرية ثانيا وإيمانا بالقيم الانسانية ثالثا[1].

فكانت هذه الثورة حافزا لتفجير قريحة الشعراء العرب بشعر ثائر شاهد على انتصار الثورة وبقرب غد مشرق بالاستقلال والحرية هذا الشعر الذي كان بمثابة سجل يخلد فيه أبطال الجزائر من شهداء ومجاهدين في سبيله، ولعل أبرز من كتب عن الثورة الجزائرية سليمان العيسى ونزار قباني ومحمد الحريري من سوريا ومحمد مهدي الجوهري وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة من العراق والقائمة تطول ولا يسع المقام لذكرها.

إذ تعد هذه المتون الشعرية صورة للثورة الجزائرية ومدى صداها وعمقها في مشاعر وأحاسيس هؤلاء الشعراء الذين شاركوا بأقلامهم منذ اندلاع الثورة فكانت انتصاراتها ومآسيها تحمل أبعادا ودلالات رمزية من خلال شخصيات سجل التاريخ انتماءها بحروف خالدة.

فمن خلال هذه الدراسة نحاول إبراز أحد رموز الثورة الجزائرية وتجلياتها كرمز ثوري في الشعر الحديث وقد اخترنا شخصية جميلة بوحيرد نموذجا للدراسة وفق منهج تحليلي وصفي لاستظهار الدلالات الرمزية لبطلة الثورة الجزائرية.

المطلب الأول: مفهوم الدلالات لغة واصطلاحا

الفرع الأول– الدلالات لغة:

قيل: الدال واللام أصلان، أحدهما: إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر: اضطراب في الشيء؛ فالأول قولهم: دللت فلانا على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء وهو بين الدلالة والدلالة)[2].

وقيل: الدلالة في اللغة مصدر دله على الطريق دلالة ودلالة ودلولة، في معنى أرشده)[3].

وقيل: " الدلالة هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعاني، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله

دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة الإنسان فيعلم أنه حي، كما في قوله تعالى :« ما دلهم على موته إلا دابه الأرض »[4]، وأصل الدلالة مصدر كالكتابة والأمارة، والدال: من حصل منه ذلك، والدليل: في المبالغة، كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء باسم مصدره"[5].

الفرع الثاني– الدلالات اصطلاحا:

يعد علم الدلالة من أهم علوم اللسان إن لم يكن أهمها؛ لأنه يختلف عن تلك العلوم في كونه يبحث في جوهر الكلمات ومضامينها، فيما تبحث العلوم الأخرى في أشكالها وهيئاتها، ولا شك أن العرب قديما قد اهتموا بالألفاظ والمعاني بما يساير حياتهم ونبوغهم فيها مع كون الكلمات أمينة في أداء المعاني التي استخدمت لها، لكنهم لم يتطرقوا إلى مفهوم الدلالة كمصطلح علمي حديث يفرض على الملقي إلماما بتاريخ الألفاظ التي يستخدمها ودلالاتها الأربعة.

وفي هذا يرى الإمام الغزالي أن العلامة اللغوية تكون رباعية الأقطاب، كما في قوله: " إن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة؛ فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي هو النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان"[6].

وقيل أن مصطلح الدلالة عند علمائها هي: " دراسة الظواهر اللغوية من خلال البحث عن القوانين، التي تشرف على تغير المعاني ومعاينة الجانب التطوري للألفاظ اللغوية ودلالاتها، أو هو الدراسة العلمية المنظمة والمحكمة لعلم المعنى"[7].

ونظرا للارتباط الوثيق بين اللغة والفكر وحاجة البشر الماسة إلى التواصل والتفاهم، ظهر على الساحة الأدبية موضوع "الدلالة"، حيث أثبتت الحاجة ضرورة الاهتمام باللغة ودلالاتها وتفاعلها مع جميع الميادين المعرفية، التي شارك فيها المناطقة والمتكلمون وأرباب كل العلوم؛ وذلك لأن المعنى اللغوي مع كونه يفتح أبواب المعرفة في العقول المغلقة إلا أن

المعنى الدلالي يشمل المعنى المعجمي إلى جانب الدلالة الصرفية والنفسية والبلاغية والرمزية .. وغيرها.

المطلب الثاني: مفهوم الرمز

الفرع الأول – لغة:

جاء في لسان العرب "الرمز" بمعنى زمن تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل الرمز في اللغة كلما أشارت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين ورَمَزَ يَرْمِزُ ويَرْمُزُ رَمْزًا[8]. بمعنى الرمز هو إشارة باليد أو بالعين لكلام ملفوظ بحركة الشفاه لدلالة على معنى مراد بعينه. وردت في القرآن الكريم كلمة رمز في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾[9]. وهناك دلالة على الإشارة لمفهوم الرمز فالله عز وجل أمر زكريا عليه السلام بعدم تلفظ الكلام وأن يكتفي بالإشارة للأشياء كلغة تواصل بينه وبين قومه ومن هنا تتضح دلالة كلمة الرمز بمعنى الإشارة أي لغة الإشارة.

الفرع الثاني– اصطلاحا:

يعتبر الناقد الألماني جوتة أول من حدد مفهوم "الرمز" بشكل أدبي حديث أثناء وصف انطباعاته في زيارته لفرانكفورت حيث أقر أنه فوجئ بمشاعر خاصة وغريبة إزاء بعض الأشياء التي يصفها بأنها رمزية، هذه الأشياء عند جوتة هي "حالات ظاهرة تتمثل عددا من الحالات الأخرى وتستقطبها وتؤثر فينا تأثيرا مألوفا أو غريبا وتجمع بين الذاتي والخارجي وتوحدهما وحينما يمتزج الذاتي بالموضوعي يشرق الرمز الذي يمثل علاقة الإنسان بالشيء"[10] ومن هذا المنطلق تتضح أن الحالات الشعورية تؤثر فينا فتمتزج الذات بالموضوع فحينها يتولد الرمز.

إذا فالرمز عند جوتة هو امتزاج للذات بالموضوع والفنان بالطبيعة فإنه يكون منطقيا مع نزعته المثالية التي ترد العالم الخارجي إلى رموز المشاعر وترى في الطبيعة مرآة للشاعر وظاهرة ينفذ منها إلى قيم ذاتية وروحية[11]. فالرمز يشكل من اندماج الذات بالموضوع لتولد رمزا للمشاعر وهذا ما ينطبق على الشاعر حيث تحرضه مشاعره تجاه الموضوع الذي يمثل العالم الخارجي فيحول الأشياء والأحداث والشخصيات إلى رموز.

المطلب الثالث: تجلي الدلالات الرمزية لجميلة بوحيرد

شكلت بعض الشخصيات الثورية الجزائرية عبر حضورها البارز والخالد تاريخيا، أعلاما خلدتهم بطولاتهم وتضحياتهم النبيلة في سبيل الوطن ليصبحوا رموزا دالة على ما حملوه من عظمة وصمود في مسارهم النضالي التحرري أمثال: العربي بن مهيدي، مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، جميلة بوحيرد، حسيبة بن بوعلي وأخريات.

الفرع الأول– الرمز الأسطوري ودلالته:

قدم الشعراء مناضلات الثورة الجزائرية برموز وصور عدة فهي (عشتار، ربة الخصب والخير لدى البابليين. وهي جميلة يتغنى بها الدهر والزمن وهي لحن قدسي وهي نشيد البحر المتلاطم الأمواج... وظلام السجن نور بين عينيها[12].

فجميلة بوحيرد كان لها حضور قومي في الشعر العربي وتعددت دلالاته الرمزية وتنوعت حيث جعل من شخصية جميلة بوحيرد شخصية أسطورية[13]. كونها المجاهدة التي عرفت بمواقفها البطولية في رفض المستعمر الفرنسي فهي واحدة من أبناء هذا الوطن الذي لم يبخل أبناؤه على تقديم الغالي والنفيس لاسترجاع حريته وكرامته المغتصبة، فجميلة " لم تعد جميلة مناضلة وطنية عرفتها الثورة الجزائرية بل صارت رمزا للنضال الإنساني في سبيل التحرر"[14] وفي إطار تمجيد الثورة الجزائرية وأمجادها جاء اهتمام الشعراء العرب بهذه الرموز النضالية فكان شعرهم عن جميلة التي كان "تمجيدا لنضال المرأة الجزائرية فالنساء

الجزائريات صغن من قطع الحديد ... وهن يتزين لا بالجواهر وإنما بالشجاعة ويضئن للرجال جوانب الطريق المؤدية للخلود"[15].

جميلة أيضا رمز للخصب والحب، حين جعل منها بدر شاكر السياب شبيهة بالإلهة البابلية عشتار، لأن ما قدمته وهو حب للوطن وإحسان لشعب يستحق الحرية، حيث يرى أن ما قدمته عشتار لمن يعبدها أقل بكثير مما قدمته جميلة المرأة مثال للتضحية للعرب والإنسانية جمعاء، كما يشبهها بالمسيح عليه السلام الذي صلب من أجل عقيدته، فعطاء جميلة كان ملموسا من خلال أطرافها المجروحة التي تقطر دماءا، وعيناها اللتان تذرفان وجعا، ثمن إيمانها بفكرة جعلت منها وساما للمرأة المناضلة.[16]

عشتار أم الخصم والحب والإحسان

تلك الربة الوالهة لم تعطي ما أعطيت

ولم تروي بالأمطار ما رويت

قلب الفقير يا أختنا المشبوحة الباكية

أطرافك الدامية

يقطرن في قلبي ويبكين فيه[17]

إن عطاء جميله المرأة كان بتقديم جسدها قربانا للحرية، لذلك الوطن وهو الحب الذي لم تبخل به عن شعبها، لذا اصطفاها الشاعر إلى مرتبة قدسي، فإن كانت عشتار إلهة الخصب أنزلت المطر من أجل النماء، فان جميلة أنزلت دما من جسدها من أجل الحرية فأبكت قلوب الكثيرين لأنها خلدت ذكراها بما قدمته للوطن، حيث يعجز الكثيرين عن تقديم القليل منه.

الفرع الثاني– الرمز الصوفي ودلالته:

ومن الدلالات الرمزية التي أشاد بها الشعراء، حول شخصية جميلة بوحيرد: هي دلالة الزهد في الحياة والبعد عن كل مغرياتها، من أجل هدف سامي، وهو منح الحرية والحياة

للآخرين، ويعكس القيم الروحية التي حملتها شخصية جميلة، فكانت بذلك رمزا للزهد الذي ألبسه عبد المعطي حجازي لقصيدته المعنونة بالقديسة، فجميلة عنده مثال للطهارة والزهد والبعد عن مغريات الحياة، حيث كرست نضالها من أجل تحقيق العدالة والحرية لشعبها:

" لم تتحسس صدرها
حين اغتنى وصار رمانا
ولم تكلم في أمور الحب إنسانا
فقد قضت عمرها
حاملة رسالة من التلال
إلى مخابئ الرجال في المدينة
قديستي.. كان اسمها جميلة "[18]

فاستدعاء جميلة رمزا للنقاء في صورة القديسة، التي تهب حياتها من أجل خدمة الآخرين، وتحرم نفسها كإمراة، من ملذات الحياة والتمتع بمفاتنها، لتكون حاملة لرسالة نبيلة وهي الدفاع عن هويتها وكرامتها.

لذا نجد جميلة المناضلة احتلت حيزا كبيرا، في الشعر العراقي الذي قيل في الثورة الجزائرية، في أكثر من ثلاثين قصيدة من قصائد هذه الموسوعة، حملت عنوانها جميلة، فجميلة تمثل رمزا وصورة لنضال المرأة الجزائرية فالنساء الجزائريات، صغن من قطع الحديد ..وهن يتزين لا بالجواهر وإنما بالشجاعة .. ويضئن للرجال جوانب الطريق المؤدية للخلود[19].

الفرع- الرمز الخاص ودلالته:

فنجد قصيدة " أنا فكرة " للشاعر جواد البدري، والتي نظمها وأهداها لرمز النضال المناضلة الجزائرية جميلة عام 1958. وتعد من أجمل ما قيل في نضال جميلة، حيث جسد

الشاعر الثورة الجزائرية في جميلة المناضلة المضحية، وعد الثورة فكرة وليست كائنا من لحم ودم، ولهذا لا تموت كما يموت الأشخاص، وكم من فكرة مثل جميلة لم تمت، فهي فكرة كامنة في عقول ونفوس كل من حمل رسالة في هذه الحياة، فيقول الشاعر على لسان جميلة:

اقتلوني أنا فكرة

أسحقوني أنا زهرة

أنا رمز لنضال الشعب من أجل السلام

وشعار الود والإخلاص في دنيا الوئام[20]

أنا إن ضحيت بالنفس وغايات المرام

للحق امضي وأضحي

فشاعر يصدح بصوته الداخلي، على لسان جميلة، ثابتا من أجل قضية شعب، هو شعار وتضحية ورمز للنضال ورفض للاستسلام، والحرية حق واجب دفع ثمنه ولو كان بالنفس.

فأنا "جميلة" سأبقى صامدة من أجل فكرة، أنت تعرى جسدي وضرب بالحديد والنار، من أجل شعب من أجل وطن وسأناضل وإن قيد المستدمر حريتي وأذلني جلادي في ظلمات السجن.

أنا إن قيدني الباغي

بقيد من حديد

وتدمى جسدي العاري

بضربات البليد

بسياط ولهيب

فلأني رمز شعب لا يحيد

ولأني حرة تأبى الخضوع

والمذلة

أنا حرة

فجميلة رمز لشعب لا يأبى الاستسلام، ويناضل من أجل حق مسلوب، وهو الحرية دون قيد أو شرط، حتى لو كلفه ذلك التنكيل بجسده، مثلما حدث مع جميلة أين صمدت أمام فنون التعذيب، ومرارة الاغتصاب من أجل فكرة، آمنت بها وضحت من أجلها.

جميلة الفكرة التي تخطت حدود الجزائر، لتكون رمزا لثورة شعب، ألهمت وألهبت صدور الشعراء، فعبر عنها صالح الطالمي أيضا في قصيدته: (عذبوا جميلة) برسم صورة التضحية من أجل فكرة كان ثمنها، أن قيدوا جميلة، وحاولوا خنق صوتها، ولم يدركوا أن الفكرة صمت يسمع له، من يؤمن بأن الفكرة لا تموت أبدا الدهر، لأن الفكرة عنف لا يهزم"[21]

كبلوها ... أوثقوا أذرعها بالقيد قسرا

حملوها كل ما يرهقها هما وبلوى

واخنقوا الآهات تنساب على الظلمة صحوا

وأخمدوا الصوت الذي في مسمع الأجيال دوى

واحذروا من طيفها ما دام للثوار نجوى

واحطموا القلب الذي يشغله الإيمان مأوى

اصنعوا ما شئتم فيها وزيدوا دون جدوى

إنها فكره .... والفكرة عنف ليس يُلوى

جميلة أكدت أن ثورة الجزائر، لم تكن ثورة رجال فقط، بل كانت المرأة سندا في الميدان، حيث لبست ثوب الجهاد، وسارت على الدرب، واختارت قدرها أن تكون في

ساحة المعركة، وتحمل بين ضلوعها أمل سند رجال شعبها ونساءه، وكباره وصغاره، فداء للوطن، وإعلاء لرايته، فرسمت لنفسها مكانا في دواوين الشعراء العرب، فكانت جميلة رمزا للشجاعة والقوة والإيمان، فنسجوا فيها كلمات خالدة بخلود نضالها، عرفانا لجميلة ولما قدمته من تضحيات، فتقول فيها الشاعرة المصرية جليله رضا في قصيدة بعنوان " إلى مجاهدة جزائرية":

أختاه يا فخر النساء ومنبع الروح التقية

يا كنز إيمان وتمبل وانتفاضات حية

يا من بعثتي من الروى والوهم روح الواقعية

أشعلت باللب المقدس بالمنى بالشاعرية

وبكل معنى للحياة مسارب النفس الخفية[22]

فجميلة بوحيرد مفخرة لكل نساء الجزائر، كونها المرأة التي حطمت بقرارها نظرة المجتمع للصورة النمطية للمرأة، التي ما فتئت تقصي المرأة، وتجعلها على هامش الحياة، فعدت بذلك جميلة رمز للمرأة الجزائرية الحرة، وبهذا يكون الشاعر المصري قد خرج من نطاق أهمية الحدث، إلى أهمية من صنع الحدث بوصفه الشخصيات الصانعة للحدث، وحولته إلى حقيقة شدها الصغير قبل الكبير[23].

فنجد لجميلة الحظ الأكبر من الأعمال الشعرية، عند شعراء مصر لأنها تمثل المجاهدة التي حيرت المستدمر بنضالها، فكانت رمزا ثوريا بامتياز، لتصبح بذلك مادة أدبية خصبة في الكثير من الأعمال الأدبية: "ألفت فيها مسرحيات أشهرها مسرحية مأساة جميلة، لعبد الرحمن الشرقاوي، وكذلك أوبرات جميلة لكمال الشناوي، أما الأعمال الشعرية فقد أصدرت دار الفكر المصرية، مجموعة شعرية كاملة بإسمها، كلها تفيض فخرا وإجلالا لمجاهدة تصدت لجبروت فرنسا بصبرها، وتمجيدا لهذا الرمز الثوري الثائر، والذي يمثل المرأة الجزائرية المناضلة، فما هي إلا واحدة من هؤلاء، وكل ما في الأمر أن جميلة ذاع صيتها في

وسائل الإعلام، بعد أن عجزت فرنسا أمام قوة هذه المرأة، وحكم الإعدام الذي صدر في حقها سنة 1958، والتي تلقته هي بابتسامة ساخرة، دوخت العالم بأسره، وهذا ما جعل منها رمزا لمثيلاتها".[24]

الفرع الرابع– الرمز الطبيعي ودلالته :

كيف وهي من اللواتي اللائي خرجنا للجهاد، ولاقينا القهر والعذاب في سجون العدو، يقول عبد العليم القباني في قصيدته إلى جميلة بوحيرد:

جميله مرحبا بك يــا جميلــة وأهــلا بالشبــاب والبطولــة

أسرت فهل آلان القيد صخرا وهل وجد الطغاة إليك حيلة

أحلت صمتك الصحراء نــارا وأنــت بســرك الغالــي بخيلة

لم أرى قبل امرك من أسيـــر آحال الآسرين رؤى ذليـلـــــة[25]

بكلمات ترحيب يستهل الشاعر كلامه الاستثنائي، فهو لجميلة وليست أي جميلة هي رمز للعطاء، أين لم تبخل بشبابها من أجل الوطن، وهي رمز التضحية لتصنع بطولة ومجد شعب. هي رمز البطولة لنيل النصر وهي رمز للقوة كالصخر لا يهاب قوة حديد قيد حريتها، وهي رمز للشجاعة حين أذلت عدوها، وحيرته بصبرها، فقهرت فرنسا كما لم يفعل أحد ذلك قبلها، وهي كما قال عنها الشاعر محمود حسن إسماعيل في قصيدته إعجاب بشخصية جميلة والمعنونة : "زهرة من عذاب" فيقول فيها:

كـلمــا شــدت السلاسـل في اصرارها الحر عقدة مستحيلة

أورقت الحديد نارا أو خلت جمرهــا بالغنــاء صيقــى غليلة

كـلمــا أوغلت وعود المنـايـا في ضحاهــا لكـي تذيب سهولا

نسـخــت عطرها فناء وبعثا وحيـــاة حــديــدة للبطــولــة

كـلمــا أنفــذ المعذب سوطـا في شذاها وأطبق الرعب غولا

وقفـت كـالزمــان كـالغيـب كالإيمان تخزي عذابه غليـــلا[26]

فهي بذلك رمز للإصرار والصمود، كلما زاد الفرنسي في تعذيبها زاد ذلك في صمودها، وفضلت الاحتراق على الخضوع، وهذا الصمود أرعب معذبها وجعله في موقف مخزي، لأنها جعلت منه أكذوبة لا يخافها أحد، بعد أن بث الرعب في نفوس شعبها بجرائمه المخزية، لتكون بذلك جميلة دافعا ومحفزا للثوار لمواصلة ما عاهدوا الله عليه، فهي من شق لهم طريقا من نور نحو الحرية، وهذا ما ذهب إليه الشاعر أحمد هيكل حين ألبس جميلة رموز استوحاها من الطبيعة في قوتها وجمالها فقال :

أنت يا أخت شعلة قد أضاءت   ليرى شعبك النبيل سبيله
من ظلام الجدران اطلعت فجرا   لانتصار الأحرار دق طبوله
عن جذيب الأسى زحفت ربيعا   فيه للعرب ألف ألف جميلة
من وراء القضبان أرسلت إعصارا   أنت الأنسام تسري عليلة[27]

نلاحظ تكثيفا لدلالات رمزية لشخصية جميلة، فهي الشعلة التي تنير الطريق، وهي الفجر الذي يليه النصر، وهي الربيع المشرق للعرب، وهي في ألف وألف جميلة، وهي الإعصار الذي يجتث العدو من وراء القضبان، ونسائم عليلة تريح النفس بعد جهادها، فكلها رموز طبيعة تعكس قوة الطبيعة في حال غضبها، وفي حال الصفاء. فجميلة حركة الشعوب العربية المستضعفة، فكانت رمزا للتمرد على ظالميها ومستعبديها، وزرعت فيهم الأمل من خلال المقاومة والنهوض من جديد، لاسترجاع ما اغتصبه العدو الغاشم، جميلة الثائرة أصبحت وجهة كل غيور، وقدوة لكل مناضل وصاحب رسالة، وأسوة لكل مجاهد، حتى لو كان الثمن أن تقبع بجسدها النحيل بين جدران الظالم، وفي ذلك يقول الشاعر السوداني محمد الفيتوري في قصيدته بعنوان رسالة إلى جميلة:

لن تسمع الجدران يا جميلة
فالسجن مثل جبهة السجان
من صخر ومن صوان

وما الذي تصنع راحتان

نحيلتان مستطيلتان

لامرأة صغيرة ...نحيلة

السجن لا يسمع يا جميلة

إلا انقضاض المعاول

إلا دوي الزلازل

إلا انفجار القنابل

السجن سكران قاتل

وأنت لا فأس ولا معول

لا خنجر ماضي ولا منجل[28]

بين الجدران هذا السجن المظلم، الذي عجز عن إذلال جميلة، تلك المرأة التي مارست جبروت الصمت والمقاومة، أمام الظلم والتعذيب، معزولة لا سلاح تدافع به سوى راحتين نحيلتين لامرأة ضعيفة لا يقوى جسدها على المقاومة، فهي رمز للصمود والشموخ، مما جعل معذبها في صدمة مما لقاه من جلد وصبر لجميلة في سجنها.

الفرع الخامس– دلالة الرمز التاريخي:

وقد تغنى شعراء تونس بالتضحيات التي قدمتها المرأة الجزائرية التي قدمت نفسها فداء للوطن، ولصون كرامة شعبها، فكانت المجاهد الرمز جميلة بوحيرد، التي لقبت بجان دارك العرب، لنضالها وكفاحها من أجل الحرية لشعبها، والتخلص من طيش المستدمر الفرنسي. فكانت بذلك رمزا للتحدي، وعليه يتغنى الشاعر التونسي أحمد مختار الوزير في قصيدته الموسومة ب وجود بطولة جميلة المجاهدة فيقول :

جـمـيـلــة أنـــت الــوجـــود   بما تريدين مختارة راضيـة

وأنـت الحيــاة وأكــوانـهـــا   بما فيك من عزمة ماضية

وذاك الإله السخي السناء   يـارك أحـلامـك الـزاكيـة [29]

إذ جعل منها الشاعر رمزا للوجود والحياة، لما تحمله من حلم كبير، كان هو الأمل في الخلاص من ذلك العدو وعذاباته.

وهذا الشاعر محمد الخفيف، في قصيدته جان دارك العرب جميلة بوحيرد، يتغنى بما تحملت جميلة في سجنها بين يدي جلادها، فكانت رمزا للصمود والقوة، شامخة ساخرة في وجه جلادها فيقول:

أقتلوها هل بكت إلا حماها   أو شـكـت إلا إلى الله أسـاهـا

أقـتـلـوهـا حـرة صـابـرة   يشفق الموت إذا الموت رآهـا

لـم تـعـد إلا بـقـايـا عظام   جزع القيد لها منذ احتواهـا

اسـألـوهـا وأسالوا جلادها   كم سقته من عذاب وسقاها

ورآهـا سـخـرت مـن نـاره   وكـوتـه نـارهـا لمـا كـواهـا [30]

خاتمة:

إن رصد الدلالات الرمزية لجميلة الجزائر جميلة بوحيرد، في الشعر الحديث غزيرة بغزارة النصوص الشعرية، التي أشادت بالثورة الجزائرية الكبرى ومجدتها، لما لها من أثر كبير في ذهنية الإنسان العربي، كون الثورة الجزائرية حظيت بإجماع الوجدان العربي، ووقف منها المواطن العربي موقف المؤيد.

وكان للشعراء دور كبير في تسجيل بطولاتها والإشادة برموز الثورة الجزائري، فكانت جميلة بوحيرد رمز المرأة الإنسانة التي دافعت عن وطنيتها، وعن انتمائها لشعب رفض الخضوع والاستسلام، فكان حضورها المكثف في الشعر العربي لأن ما قدمته جميلة تجاوز حدود الوطنية، إلى القومية العربية التي رأت في جميلة المخلص والمنقذ والأمل، بنضالها وصبرها على كل أنواع التعذيب، فحضورها بدلالات رمزية مكثفة، يعكس بحق تأثر الشعراء بما خلفته جميلة بوحيرد رمز البطولة والتحدي والصمود والشموخ والقوة في

نفوسهم، كما أبرز الدلالات الرمزية التي شهدتها هذه الشخصية الثورية، هي أنها تميزت بطابع إنساني شامل، تعمد على نبذ كل ما هو مظلم في الحياة البشرية، وسعى وراء إحياء وتثبيت كل القيم المشرفة في التراث الإنساني.[31]

الهوامش:

[1] – ركيبي عبد الله، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982، ص20.

[2] – مقاييس اللغة: لابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، سوريا، ط1، 1979، مادة (دل)،259/2.

[3] – الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م، مادة: (دلل)، 4/ 1698

[4] – سورة: سبأ، الآية: 14.

[5] – المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، د. ت، ص171.

[6] – مباحث في اللسانيات، د. أحمد حساني ، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي. ط2، 2013، ص143.

[7] – علم اللسانيات الحديثة، د.عبد القادر عبد الجليل، دار صفاد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص518.

[8] – ابن منصور لسان العرب دار صادر بيروت لبنان ط1، 1410هـ 1990 ص 223.

[9] – القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 41.

[10] – احمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ،دار المعارف، كورنيش النيل القاهرة ، ط1، 1919، ص 37

[11] – أحمد محمد فتوح، المرجع نفسه، ص37.

[12] – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[13] – أحسن مزدور، الصورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر مكتبة الآداب للنشر والتوزيع القاهرة مصر 2005، ص527.

[14] – عز الدين إسماعيل الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط2 دار العودة بيروت 1981، ص217.

[15] – عثمان سعيدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ،ج1،ط2 المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985، ص110.

[16] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[17] – المرجع نفسه، ص113.

[18] – المرجع نفسه، ج2، ص ص416–417.

[19] – المرجع نفسه، ج1، ص110.

[20] – بوابة الجزائر ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي.

[21] – المرجع السابق، ص 113.

[22] – جليلة رضا ديوان انا والنيل ص 72–73 نقلا عن كتاب الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر مكتبة الآداب للنشر والتوزيع القاهرة مصر 2005.

[23] – حسن فتح الباب ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر الدار المصرية اللبنانية القاهرة مصر 2005، ص48.

[24] – أحسن مزدور الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، ص 21.

[25] – عبد العظيم قاني، أشعار قومية ص129 نقلا عن كتاب الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر أحسن مزدور ص 75.

[26] – حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع الشعر المصري، ص 50.

[27] – أحمد هيكل، اصداء الناي ص 116–119 نقلا عن كتاب أحسن مزدور الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، ص 76.

[28] – ديوان محمد الفيتوري ط3، دار العود بيروت 1979 من ص 298 إلى 306.

[29] – أحمد مختار الوزير ، من شعر الوزير الدار التونسية تونس ط1، 1959، ص ص67–68.

[30] – حسن فتح الباب ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ص 199.

[31] – عثمان سعدي الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ج1، ص119–120.